https://doi.org/10.61353/ma.0230072

الأبعاد الجيوسياسية للحرب الروسية - الأوكرانية: دراسة في تغير خريطة العالم السياسية وفق الفلسفة السياسية الجديدة لروسيا الاتحادية – الأوراسية

Geopolitical Dimensions of the Russian-Ukrainian War: A Study in the Changing Political Map of the World According to the New Political Philosophy of the Russian Federation - Eurasianism

أ.م.د علي عبد المحسن كريم
كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
ali.baghdadi@iku.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٥/١٠/١٣ تاريخ ارجاع البحث ٢٠٢٥/١٠/٢٧ تاريخ قبول البحث ٢٠٢٥/١١/٥

بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفياتي ١٩٩٠-١٩٩١، تغيير شكل العالم وتبدلت خريطته السياسية والديموغرافية، إذ ظهرت دول جديدة تفككت من تحالفات سابقة ضمن جمهوريات الاتحاد السوفياتي كيوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرهما، ليعاد تشكيل الخريطة السياسية وفق فلسفات سياسية خاصة بكل دولة من هذه الدول المستقلة، والتي سبقها حروب أهلية طاحنة راح ضحيتها عشرات الآلاف من المدنيين والعسكريين، مما دفع روسيا لإنشاء تحالف جديد تحت عنوان روسيا الاتحادية انضمت إليه بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق. وتمخضت هذه التحالفات عن ولادة نظرية جديدة ربما ستغير الخارطة السياسية للعالم في المستقبل القريب. هذا البحث هو عرض للنظرية الأوراسية من ضمن إطار مفاهيمي جديد معززاً بالخرائط التي توضح فكرة البحث.

كلمات مفتاحية: الحرب الروسية الأوكرانية، الأوراسية، الجيوسياسية، روسيا، الفلسفة السياسية

After the end of the Cold War and the dissolution of the Soviet Union in 1990-1991, the shape of the world changed and its political and demographic map was altered, as new countries emerged from the disintegration of former alliances within the republics of the Soviet Union, such as Yugoslavia and Czechoslovakia, among others. The political map was reconfigured according to the distinct political philosophies of each of these independent states, preceded by fierce civil wars that claimed tens of thousands of civilian and military lives. This prompted Russia to establish a new alliance under the name of the Russian Federation, which some former Soviet republics joined. These alliances resulted in the birth of a new theory that may potentially change the political map of the world in the near future. This research presents the Eurasian theory within a new conceptual framework, supported by maps illustrating the research idea.

Keywords: Russian-Ukrainian War, Eurasianism, Geopolitics, Russia, Political Philosophy

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

المقدمة

شهدت مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي ممثلاً بالاتحاد السوفياتي، والغربي ممثلاً بالولايات المتحدة عام ١٩٩١م، هيمنة القطب الغربي على السياسة، والاقتصاد، والثقافة بصورة كبيرة، وفقد العالم توازن القوى الذي امتد لنصف قرن تقريباً، وشهدت هذه الحقبة صراعات في أوروبا والبلقان بين جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق، وحروب بينية على أسس عرقية وأيديولوجية، راح ضحيتها مئات الآلاف من الناس، وتغيرت خريطة العالم للمرة الثانية بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م، لتشهد ولادة دول جديدة واستعادة دول لاستقلالها بحسب فرضية أن دول الاتحاد السوفياتي السابق هي محتلة وليست متحدة، وتجددت الاتفاقيات الدولية بين روسيا وجمهورياتها السابقة وبينها وبين الغرب وأمريكا تحديداً، هذه الاتفاقيات مثلت نزعاً للأسلحة النووية، والبالستية من دول بعينها، وأهم خزين كان لدى أوكرانيا، مع ضمان عدم تمدد حلف الناتو لدول جوار روسيا مستقبلاً.

شكلت روسيا امتداداً جغرافياً استراتيجياً على مدى قرون، فروسيا القيصرية كانت تضم أراضٍ في آسيا وأوروبا وأيضاً ألاسكا (الملحق رقم ١). وبعد الحرب العالمية الأولى تقلصت هذه الحدود، سيما مع صعود البلاشفة وسيطرتهم على روسيا، وخروجهم بوقت مبكر نسبياً من الحرب العالمية الأولى، ليشكلوا الاتحاد السوفياتي بضم مجموعة من الجمهوريات الأوروبية إلى هذا الاتحاد عام ١٩٢٢م. شهدت حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية تأسيس حلف وارسو والذي ضم جمهوريات الاتحاد السوفياتي والجزء الشرقي من ألمانيا، كند أساسي ورئيسي لحلف شمال الأطلسي (الناتو) الذي شكله الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الثانية، فاختلاف الفلسفة السياسية لكلا الفريقين والذي ولد خلافاً أيديولوجياً، دفع كلا الطرفين للدخول فيما عرف بالحرب الباردة (الملحق رقم ٢).

وبعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفياتي ١٩٩٠-١٩٩١، تغير شكل العالم وتبدلت خريطته السياسية والديموغرافية، إذ ظهرت دول جديدة تفككت من تحالفات سابقة ضمن جمهوريات الاتحاد السوفياتي كيوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرهما (الملحق رقم ٣)، ليعاد تشكيل الخريطة السياسية وفق فلسفات سياسية خاصة بكل دولة من هذه الدول المستقلة، والتي سبقها حروب أهلية طاحنة راح ضحيتها عشرات الآلاف من المدنيين والعسكريين، مما دفع روسيا لإنشاء تحالف جديد تحت عنوان روسيا الاتحادية انضمت إليه بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق (الملحق رقم ٤). بعد هذه المقدمة الاستهلالية نشرع ببيان مشكلة البحث وأهميته ومنهجه وهدفه.

اولًا: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في موضوعه الذي يشكل هاجساً وجودياً لمنطقتنا، أي منطقة الشرق الأوسط، فالمتغيرات التي بدأت عام ٢٠٠٢م بغزو أفغانستان، وتبعها غزو العراق الذي أحدث دويًا عالمياً لا تزال

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

تداعياته مستمرة إلى الآن، مروراً بحوادث الربيع العربي، والتغييرات التي طرأت على النظم السياسية القديمة في المنطقة، وليس آخرها اجتياح تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسوريا. هذا الجنون نفسه يتكرر في أوروبا بين الندين القديمين الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي ولكن بأسلوب جديد، تمحور حول توسع حلف الناتو شرقاً ليمس أمن روسيا القومي في الصميم، ويمس أيضاً منطقتنا سيما وأن واحدة من أهم دول حلف الناتو تقبع على حدودنا الشمالية (تركيا). كل هذا الجنون قاد المنطقة إلى أتون حرب ضروس، تغيرت فيها العديد من المفاهيم والتراكيب الفلسفية والوجودية، فتغيرت فلسفة حلف الناتو للتوسع شرقاً وضم دول تعتبر ضمن المحرمات، فضلًا عن عودة الفكر الشيوعي بأسلوب جديد وعلى طريقة فلاديمير بوتين إلى روسيا. هذه التغييرات الكبرى أدت إلى تحول في الأيديولوجية السياسية لهذه الدول، ولتؤثر برياحها علينا بوصفنا مستقطبين رئيسيين لهذه التغييرات، فلسنا فاعلين بالدرجة الأولى بل منفعلين.

ثانيًا: مشكلة البحث

لا بحث بدون مشكلة، ولا مشكلة بدون حل؟ كفرضية أولية وسؤال مركزي يقدمه الباحث، هو التبؤ بالتغيير الجيوسياسي الناتج عن الحرب الروسية–الأوكرانية وتأثيره على منطقة الشرق الأوسط؟ وكتشظية للسؤال المركزي يراها الباحث ضرورية للبحث، نقدم فرعين كتموضع رئيس لمعيارية البحث:

الأول: هو في تغيير خريطة العالم والتنبؤ باستمرار تغييرها.

الثاني: في التحولات المركزية في الفلسفة السياسية لروسيا وندها التقليدي الغرب الرأسمالي.

بمعنى التغير الأيديولوجي والتغيير الجيوسياسي، فمشكلة البحث تكمن في هذين الموضعين وفي المتغيرات الآنية والتنبؤ بالمتغيرات المستقبلية للصراع، ومدى تأثيرها على نمط حياة المجتمعات في منطقة الشرق الأوسط؟ وما هي الاستعدادات التي يمكن لهذه المجتمعات القيام بها لتخفيف أثر هذا التغيير الكبير الذي سيحصل لا محالة؟ ربما تكون فرضيات البحث تشاؤمية بعض الشيء، إلا أن حقيقة الصراع الأيديولوجي يحتم علينا الخوض في غمار هذه المشكلة، سيما وأن التموضعات الجديدة ستؤثر بصورة مباشرة علينا، لذا سنقدم الفرضيات مع الحلول المحتملة في هذا البحث، عسى أن يتم تطبيقها ولو بشكل تدريجي.

ثالثًا: هدف البحث

الغرض هو إيجاد حلول ومعالجات للمتغيرات القادمة ومن ضمن قواعد العمل السياسي لكل بلد، والمبني أساساً على الفلسفة السياسية لهذا البلد، أو ذاك، ومن ضمن الفرضيات التي سنقدمها هنا.

رابعًا: فرضية البحث

نُقدم في هذا البحث فرضيات، أو أسئلة لنجيب عليها وأخرى لحلها، ويمكن إجمالها في فرضية واحدة اختصاراً. فالفرضية الرئيسة هي تغيير خارطة العالم بعد الحرب الأوروبية القائمة الآن، وفي فضاء التحولات المركزية في الفلسفة الروسية، وفلسفة حلف الناتو والمتمثلة بالتوسع شرقاً بخلاف المعتاد، وأيضاً بالتغييرات التي

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

أضافها فلاديمير بوتين إلى الأيديولوجية الروسية، كفرضيتين تستبطن معها وتحمل بين طياتها أفكاراً وحلولاً لمنطقتنا. فما هي استعداداتنا لهذا التغيير، وما هي أوراق الضغط التي نمتلكها؟، وهل سنغير من فلسفتنا السياسية لنواكب هذا التغير، كما حدث بعد عام ٢٠٠٣ بالانتقال من الاشتراكية والقطبية الواحدة في الحكم إلى التعددية؟ أم سنبقى متأثرين فقط؟ أسئلة عديدة سيحاول البحث الإجابة عنها تباعاً.

خامسًا: حدود البحث

سيتحدد بحثنا هذا ضمن فضاء الصراع الأيديولوجي في أوروبا وتأثيره على منطقة الشرق الأوسط، محاولاً عدم التوسع إلا عند الحاجة إليه، لنضمن بحثاً رشيقاً معرفياً.

سادسًا: منهجية البحث

الاعتماد الكلي سيكون على منهج التحليل العلمي ومنهج الوصف، مع الأخذ بالمنهج الاسترادي عند الحاجة إليه ضمن مفاصل البحث. وبالنسبة للمصادر فهناك اقتباس حرفي أشرنا إليه، وهناك تصرف من الباحث، بقراءة النص وتشخيص الحلول وعرضها بلغة الباحث مع الإشارة إلى المصدر بالتأكيد.

سابعًا: الدراسات السابقة

بما أن الموضوع غض، لذا فإن الدراسات السابقة محدودة وتناقش مواضيع يفترض الباحث عدم مساسها بجوهر موضوع هذا البحث، وكنمذجة عن هذه الدراسات نذكر منها:

١. الجهاد الروسي وأزمة أوكرانيا – الدكتور محمود محمد علي – جامعة أسيوط – مصر.

٢. الحرب الروسية الأوكرانية والمآلات المستقبلية – الدكتور أحمد محمد عثمان أدلأدريس – مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية – مصر.

٣. الإمارات والحرب الروسية الأوكرانية: الدوافع والتداعيات – المركز الخليجي للتفكير – الإمارات العربية المتحدة.

٤. السياسة الخارجية الروسية في آسيا الوسطى والقوقاز – قاسم دحمان – لندن – نشر شركة إي كتب.

ثمانًا: هيكلية البحث

يقسم هذا البحث على مبحثين رئيسيين تسبقهما مقدمة. يركز المبحث الأول على "نظرة في الفلسفة السياسية الروسية، والأمريكية في القرن العشرين"، في حين يتناول المبحث الثاني "المتغيرات الجيوسياسية الناتجة عن الحرب الروسية–الأوكرانية وتأثيرها على منطقة الشرق الأوسط". وتأتي الخاتمة في نهاية البحث متضمنة أبرز النتائج والمقترحات.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

المبحث الأول
نظرة في الفلسفة السياسية الروسية والأمريكية في القرن العشرين

لتكوين فهم عن هذه الفلسفة بصورة عامة، والفلسفة السياسية الروسية بشكل خاص، علينا أن نفهم أهم التحولات التي حدثت منذ مطلع القرن الماضي وصولاً إلى أهم المنحنيات السياسية التي حدثت في هذا القرن، والتي شكلت الأعمدة الرئيسية للفلسفة السياسية الروسية، والتي قد تبدو لأول وهلة أنها توسعية استعمارية، ولكن بعكس النظر يتبين أن هذه المتغيرات جاءت لحماية الأمن القومي الروسي أولاً وللحدّ من توسع حلف الناتو باتجاه الشرق، من ضمن سياسة أمريكا التوسعية الجديدة، لفرض الهيمنة والرؤية الأمريكية على هذا الجزء من العالم، وسيبدأ الباحث هذا المبحث بدراسة التغييرات من روسيا القيصرية صعوداً (كالهون، ٢٠١٤، ص ١١).

المطلب الأول
من القيصرية إلى البروليتارية – كيف تغيرت الفلسفة السياسية الروسية بعد ثورة البلاشفة عام ١٩١٧

ماجت أوروبا بالصراعات الفكرية والأيديولوجية منذ بواكير عصر النهضة لتتعزز تلك الصراعات بعد الثورة الفرنسية ١٧٨٩-١٧٩٩م، والتي قلبت موازين العالم وأدخلته في مرحلة جديدة من الصراع، فولادة مفاهيم الحرية والعدالة والخبز، وأيضاً ولادة مفاهيم مثل إرهاب الدولة، ومن ثم التوسع الكولونيالي متمثلاً بالحملة الفرنسية على مصر، كل هذا وغيره دفع القوى الكبرى للتفكير مجدداً في إعادة صياغة فلسفاتها السياسية وفق هذه المتغيرات، فنلاحظ مؤلفات مونتسكيو وجان جاك روسو وستيوارت ميل وجون لوك وغيرهم في الفلسفة السياسية، ونظم الحكم، قد ولدت مفاهيمًا جديدة لم تكن معروفة آنذاك، كما ظهر كتاب رأس المال لكارل ماركس والذي نظّر للصراع بصورة مغايرة لما كان سائداً آنذاك (لوك، ١٩٥٩، ص ٢١؛ دونر وفمرتون، ٢٠١١، ص ٦٧؛ روسو، ١٩٩٥، ص ٨٩؛ ماركس، ١٩٤٧، ص ١٦)، إذ فهم الصراع على أساس الطبقية، والصراع بين ملاك رؤوس الأموال مع طبقة العمال (البروليتارية) (ماركس، ١٩٤٧، ص ١٦).

تمركزت فلسفة الاتحاد السوفياتي السياسية بما سطره لينين من وصايا للحزب الشيوعي تركزت حول الآتي:

١. المحافظة على نقاء الحزب الشيوعي وعدم المساس به والمحافظة على وحدته.
٢. تقوية دكتاتورية الطبقة الكادحة (البروليتارية).
٣. الحفاظ على اتحاد العمال والفلاحين.
٤. دعم وتوسيع جمهوريات الاتحاد السوفياتي.
٥. المحافظة على المبادئ الأممية الشيوعية والإيمان بها (جاسم وعلاوي، ٢٠١٣، ص ٣٦).

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

هيمنت القيصرية "كنظام حكم" على كل روسيا لقرون طويلة شأنها شأن باقي العالم، وتتمحور الفلسفة السياسية للملكية بصورة عامة على سلطة الملك، فهو مصون غير مسؤول، وهو يملك ويحكم بالوقت نفسه ، ومع الثورة الفرنسية ومفاهيمها الجديدة بدأت خريطة العالم بالتغيير، وليست روسيا بمعزل عن هذا التغيير، فنتيجة الاستبداد والإقطاعية والفقر والأمراض التي فتكت بالمجتمعات آنذاك، ظهرت فلسفة سياسية جديدة كانت روسيا أول معاقلها، إلا وهي الشيوعية، فحدثت الثورة عام ١٩١٧م لتتبعها حرب أهلية لغاية سنة ١٩٢١م، فتغيرت الفلسفة السياسية من القيصرية المستبدة إلى دكتاتورية البروليتارية، فكأنما استبد استبداد باستبداد آخر (جاسم وعلاوي، ٢٠١٣، ص ٣٦). فتحولات السياسات الشيوعية نحو الاشتراكية وخلق مجتمع متوازن ثم الانطلاق للعالمية، وهذه كانت رؤية جوزيف ستالين، بينما عارض هذه الرؤية تروتسكي والذي كان يرى أن الشيوعية يجب أن تسود العالم ومن ثم الاتحاد السوفياتي، فانتصرت فلسفة ستالين على فلسفة تروتسكي، فتكونت أسس الفلسفة السياسية للاتحاد السوفياتي نحو الداخل ومن ثم نتجه إلى نشر الشيوعية عالمياً (كاظم وجاسم عبد، ٢٠١٤، ص ٣٥). فكأنما يريد ستالين إنجاح الفلسفة الشيوعية لتقديمها كنموذج ناجح إلى العالم، حتى يكون الدخول والموافقة على تبنيها مبنية على أسس وقصص نجاح الاتحاد السوفياتي تحت ظل النظام الشيوعي وسياسته الاشتراكية ونمطه اللاتوسعي، والذي يقدم الشيوعية على أنها أمل البشرية جمعاء (هوبا، ٢٠١٩، ص ٣١).

هذه السياسة تغيرت جذرياً بعد غزو ألمانيا النازية للاتحاد السوفياتي في عملية باربا روسا الشهيرة، والتي فتحت الباب أمام تقدم السوفييت في معركة سميت بمعركة الحرب الوطنية العظمى، والتي هيمن فيها الجيش الأحمر على أوروبا وصولاً إلى برلين ليسقط النازية، من هنا وربما قبلها بقليل بدأت مفاهيم الهيمنة تظهر على السوفييت بقيادة ستالين، والذي بدأ بسط سيطرة كاملة على كل أوروبا الشرقية وجزء من ألمانيا، ومثله فعل الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ونشأ حلف وارسو ممثلاً للكتلة الشرقية وحلف شمال الأطلسي "الناتو" ممثلاً عن الغرب (الكيالي، ١٩٩٠، ص ٤٧٦). السيطرة والهيمنة أخذت عناوين جديدة مبتعدة عن أطروحة الاستعمار الكولونيالي الممقوت أممياً وعالمياً، إذ تمظهر الصراع الآن والهيمنة على مفاهيم نشر بل الإجبار على الأيديولوجيات المتصارعة، الرأسمالية الغربية بقيادة أمريكا، والشيوعية الاشتراكية بقيادة موسكو. المتغير هنا هو جديد من حيث الواجهة ولكنه تحديث للاستعمار الكولونيالي المقيت، فنحن أمام استعمار جديد يحمل بين طياته فلسفة جديدة تقوم على أساس تحقيق الرفاهية والحرية للشعوب، من خلال تبني إحدى الأيديولوجيات المتصارعة، وربما نشوء حركة عدم الانحياز كانت بادرة للخروج من مأزق الصراع الأيديولوجي المحتدم بين الشرق والغرب (مزيان وديداوي، ٢٠١٧، ص ٣١). هذه الحركة حاولت الخوض في خضم بحر متلاطم الأمواج من الصراعات، والحروب، والأزمات بين الكتلتين المتصارعتين، وربما فقدت

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

رونقها بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١م، وتفككه وسقوط جدار برلين لتستفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالعالم.

المطلب الثاني
من العالمية إلى العولمة – الهيمنة الغربية على العالم وتغيير مسميات الاستعمار الكولونيالي

ربما لاقى الغرب مقاومة أقل حدة من الدول المستعمرة في القرن العشرين، عنها مع نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، فبعد تأسيس الدول القطرية وانهيار الإمبراطوريات التاريخية بعد الحرب العالمية الأولى، وظهور فلسفات سياسية جديدة تختلف جذرياً عما كان سائداً ولقرون، ظهرت أنواع من المقاومة الفكرية، والعسكرية ولكنها أقل حدة من حيث التوجهات الراديكالية التي تبنتها، فالحركة التحررية الجزائرية كانت تؤمن بالتحرر من فرنسا ليس لأغراض دينية صرفة، بل لأغراض وطنية، وعروبية، وكذلك الحال في العراق وسوريا وغيرهما، وربما يعود السبب إلى نوعية الاستعمار، أي إلى ما يشكله الاستعمار بالنسبة إلى هذه الدول حديثة التأسيس، فما تشكله بريطانيا للعراق غير ما تشكله فرنسا للجزائر، وأيضاً سياسة البلدين المستعمرين تختلف ومعهما تختلف فلسفتهم السياسية في الإدارة والحكم (الادهمي، ٢٠٠٩، ص ٥٥). ومن هنا يبرز السؤال الأهم في خضم هذا السياق، وهو سؤال ليس جدلياً ولكن جوابه جدلي. فما هي نظرة الشعوب المستعمرة اتجاه الدول المستعمرة؟ هل هي نظرة امتنان لتخليصهم من الهيمنة والفساد العثماني؟ أم هي نظرة ريبة وشك فيما يطلبه هذا الوافد الغريب؟ أو هي نظرة متفائلة لما يشكله ويحتويه هذا المستعمر من ثقافة وفنون وعلوم واكتشافات غيرت وجه العالم؟ وأسئلة أخرى تدور في الذهن، يبدو الأمر محيراً، بل جدلياً أكثر. فنوعية المقاومة التي أبدتها الشعوب من جهة، ونوعية الاندماج مع الواقع الاستعماري من جهة أخرى، كفيلان بإثارة التساؤلات السالفة، ففي حين قدمت الجزائر مئات الآلاف من الضحايا، نجد أن الهيمنة الفرنسية بما فيها اللغة لا تزال مسيطرة بصورة كبيرة وإلى يومنا هذا، والأمر نفسه في العديد من الدول المستعمرة. يبقى السؤال الأهم هو في تغير نوعية المقاومة مع طوفان العولمة الطاغي بكل شيء على العالم، فلا يزال العالم تحت تأثير صدمة أحداث ٩/١١ في الولايات المتحدة الأمريكية، وما نتج عنه من تداعيات مثل احتلال أمريكا لأفغانستان والعراق، ثم الانسحاب الأمريكي المدوي من أفغانستان وإعطاء الفرصة لحركة طالبان (المصنفة على أنها حركة إرهابية من قبل العديد من دول العالم) من العودة إلى الحكم ومسك زمام السلطة هناك، فضلًا عن النظام الهجين الذي تم بناؤه في العراق بعد سقوط دكتاتورية البعث عام ٢٠٠٣، وليس انتهاءً بحوادث الربيع العربي وتغيير الحكام التقليديين لهذه البلاد، منذ نهايات عام ٢٠١٠ وإلى يومنا هذا، عالم مليء بالإرباك والصراعات والدماء، عالم أضحى غير مفهوم ولا مبرر لكل ما يجري فيه من صراع وقتال وحروب، فلا تجد اليوم منطقة في العالم إلا وقد شملها طوفان الفوضى والحروب، فهل نحن فعلاً أمام فوضى خلاقة تعيد تنظيم العالم من جديد وفق الرؤية الأمريكية؟ هل نحن فعلاً على

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

أعتاب تغير عظيم في كل ما نراه أمامنا والذي استأنسنا به لعقود؟ في الواقع وقبل الحقيقة، الجدل أكبر من النقاش والمشكلة أو المشاكل أكبر من الحلول ولو في الأفق المنظور أمامنا، فإذا انتصرت روسيا في الحرب على أوكرانيا فهذا معناه تغيير خريطة العالم من جديد، وهو أمر كان من سمات القرن العشرين، فقد تغيرت فيه خريطة العالم مراراً ولم نكد نستأنس بالعالم الجديد حتى تغيرت خريطته مرة ثانية، ولا أعني فقط الخريطة الجغرافية، بل الخريطة السياسية، والثقافية، والاقتصادية والمناخية، تغييراً يكاد يطيح بأشد العقول قوة وصلابة (ناي، ٢٠٠٧، ص ٢٠-١١٣).

وحتى باقي العالم عرضة للتغيير، فمن الضامن لعدم تغيير خارطة فلسطين وانتهاء الدولة الفلسطينية التي لم تولد على أرض الواقع، وهيمنة الكيان الصهيوني على كل فلسطين التاريخية؟ وما الضمانات من عدم التوسع إلى سوريا وتغيير خارطتها؟ سيما بعد الضربات الإسرائيلية التي أضعفت حزب الله اللبناني، وأضعفت إيران أيضاً، وانشغال روسيا بحرب أوكرانيا، مما يتيح الفرصة لتركيا الطامعة في حلب، والموصل من تحريك أدواتها في إدلب ضد الاستقرار الهش في سوريا. وليس الأمر بعيداً عن الأردن، أو العراق، أو السعودية. فلا ضمانة حقيقية تمنع الولايات المتحدة وحلفائها وروسيا وحلفائها من هذا التمدد. وهذا يفضي إلى حقيقة واحدة، هذا التغيير لا يتم إلا بعد حرب عالمية ربما تكون غير تقليدية. فخطأ واحد ترتكبه أوكرانيا وحلفائها أو الروس وحلفاؤهم كفيل بإشعال هذه الحرب الكارثية كما يذهب إلى ذلك ويليام مون (مون، ٢٠٢٤، ص ١-٥).

في تقرير مهم نشره مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار في مصر (وهو مركز مرتبط بالحكومة المصرية)، يقول التقرير أن استمرار الحرب الروسية-الأوكرانية، يهدد بأزمات اقتصادية هائلة ويهدد الأمن الغذائي وأمن الأفراد، فاستمرار الحرب وإطالة أمدها ينبئ بعواقب ثانوية كبيرة تتغير لتكون عواقب كارثية (مركز المعلومات ودعم القرار، ٢٠٢٢، ص ١-١١). فشبح عودة المجاعات، والأمراض والأوبئة التي حصلت بعد الحربين العالميتين ولا سيما الأولى أضحى ماثلاً أمام العالم، فالموضوع لم يعد مقتصراً على جهة، أو منطقة، فالخطر ولا سيما الأمن الغذائي والمائي الهش أساساً، أصبح عرضة لما تنتجه مدافع روسيا وأوكرانيا (أزناك واللواتي، ٢٠٢٢، ص ١-١٢).

ربما أسهم انحسار نفوذ روسيا بعد الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، في تعزيز واقع حلف الناتو من خلال استقطاب الدول حديثة الاستقلال عن الاتحاد السوفياتي، وتعزيز القواعد العسكرية وتمكين الاقتصاد في هذه الدول، ربما مكن من ظهور قواعد جديدة للجيوسياسية دفعت روسيا للتأهب لخوض حروب وجودية كالتي خاضتها في جورجيا في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين وليس آخرها مع أوكرانيا، يذهب فرانسوا جيريه في كتابه الجيوسياسية الجديدة إلى أن: "برزت اليوم جيوسياسية جديدة للحرب والسلم، مستفيدة من الفراغ الذي تركته روسيا خلفها، بدأت القواعد الأمريكية المتقدمة بالسيطرة

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

على آسيا الوسطى، يقابلها من الشرق الصينيون في تشين جيانغ، وهم أصحاب الأرض الأوائل، من جهته اكتشف الاتحاد الأوروبي بتوسعه نحو الشرق مناطق جديدة مجاورة له مباشرة، مثل أوكرانيا وروسيا وتركيا، وهي مناطق ذات تاريخ عريق أيضاً، إنه مظهر آخر من مظاهر الحداثة التي يعكسها تعدد القوى المسلحة الخاصة" (جيريه، ٢٠١٤، ص ١١).

المبحث الثاني
المتغيرات الجيوسياسية الناتجة عن الحرب الروسية-الأوكرانية وتأثيرها على منطقة الشرق الأوسط

في خضم هذا الصراع المحموم بين روسيا وأوكرانيا ومن ورائها الغرب، والنزاع الفلسطيني–الصهيوني، ومتغيرات حرب غزة الأخيرة، والتغير الدراماتيكي للمشهد السياسي في سوريا، تبرز هذه الصراعات كمتغيرات جيوسياسية خطيرة في منطقة الشرق الأوسط، فالمنطقة ليست بمعزل عن هذا الصراع الدامي بين روسيا وأوكرانيا، وأيضاً ربما تدخل في نزاعات جديدة كردات فعل للاهتزازات التي ستولدها نتيجة الحروب أعلاه، ومن هنا سيبدأ الباحث عمله في هذا المبحث.

المطلب الأول
التأثيرات الآنية الناتجة عن الحرب بين روسيا-أوكرانيا على منطقة الشرق الأوسط

لا يخفى على أحد مدى أهمية منطقة الشرق الأوسط ومدى حساسيتها بالنسبة للعالم عموماً وللغرب والصين والهند وروسيا خصوصاً، فهي المصدر الرئيس للطاقة والبوابة للمياه الدافئة، وهي أيضاً مركز للأديان والثقافات المتنوعة، والتي تشكل فسيفساء أيقونياً تتبع دياناتها أغلب دول العالم، فهذا التنوع الاقتصادي، والسياسي، والثقافي، والديني، والعسكري أيضاً، كونها تضم حلفاء للشرق والغرب وقواعد عسكرية أيضاً، هذا التنوع وضع هذه المنطقة في أتون الصراع، أي صراع يكون بين الدول العظمى يؤثر بصورة مباشرة على هذه المنطقة الاستراتيجية والهشة بنظمها السياسية وتنوعها الاجتماعي.

يقول يوجين تشاوسوفسكي أن الشرق الأوسط يقف على حافة حرب إقليمية، سيما بعد الصراع الذي تبع هجمات حماس ضد إسرائيل في ٢٠٢٣/١٠/٧، فتوسع الصراع مع انشغال الدول الكبرى في الصراع الروسي–الأوكراني، الذي أعاد شبح الحرب العالمية الثانية إلى الأذهان، ومخاطر عودة دونالد ترامب للحكم في أمريكا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا وتحرك الشعبوية والعبثية في الساحات السياسية، كل هذه العوامل مجتمعة قد تفضي إلى حرب طويلة الأمد، تكون الحربين العالميتين في القرن العشرين نزهة بالنسبة لها (تشاوسوفسكي، ٢٠٢٤، ص ١٤).

بعد الغطرسة التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، ومحاولة الهيمنة والسيطرة على كل العالم، بدأت روسيا تشعر بالضيق وبالحرج، فهي لم تعد تلك الدولة ذات الستار الحديدي

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

والتي ترعب العالم أجمع، فقد تحولت إلى بلد ضعيف تغزوه مافيات السلاح والمخدرات والجريمة المنظمة، وتفككت أوصال ذلك العملاق الأحمر، لتتحول أوروبا الشرقية إلى ساحة للنزاع البيني والذي أفضى إلى بلدان هجينة ومنقسمة على ذاتها قبل أن تكون منقسمة ومتصارعة مع الآخر القريب. مما ولد دويلات خرجت من رحم الاتحاد السوفياتي السابق لتشكل بؤراً مرعبة للاقتصاد والأمن الأوروبي، وحتى الدول المجاورة لروسيا لم تسلم من هذه المشكلة، والتي ولدت لدى الغرب فكرة توسيع حلف الناتو كمقدمة لحصار روسيا الاتحادية الوليدة الرسمية للاتحاد السوفياتي المنهار. هذا الحصار يضر بمصالح روسيا القومية ويستهدف أمنها القومي، سيما مع مساحة كبيرة تشكلها روسيا الطبيعية، مما يشكل عامل ضغط جيوسياسي، استدعى من القيادة الروسية تغيير كل الفلسفة السياسية وحتى العقيدة النووية لها. فضمت شبه جزيرة القرم وبدأت بقضم مناطق التواجد الديمغرافي للناطقين بالروسية من أوكرانيا (الفقي، ٢٠٢٤، ص ٦). هذا القضم والضم يدخل ضمن أعمق مفاهيم الجيوسياسية الروسية الجديدة، فحدود الدولة الجغرافية تتوسع وتضيق حسب قوتها وضعفها (زريق، ٢٠٢٢، ص ١-٨). فروسيا لن ولن تقبل بتحديد حدودها الجغرافية فضلاً عن حدود قوتها السياسية بأن يكون حلف الناتو يلعب في الفناء الخلفي لها، فوفق هذه المقاربة انطلقت روسيا لتعيد رسم خارطة العالم من جديد، وهو أمر لم يصدم العالم كما هو واضح، بل كانت الاستعدادات قد بدأت بفرض حزم من العقوبات الاقتصادية والمالية ضدها، كجزء من محاولة ثنيها عن ما تريد الإقدام عليه والذي كانت السياسة الغربية هي المسبب الرئيسي له.إذا أرادت روسيا بعد هذه الأحداث الخطيرة أن تعود إلى الساحة العالمية من خلال تعزيز مكانتها في مجالات مختلفة، كسوق الطاقة العالمي وتجارة السلاح الدولية وسوق الغذاء العالمي، مضافاً إلى تقوية مكانها في الملفات المهمة كملف إيران النووي والملف الكوري الشمالي، وهي تفكر بجدية في العودة إلى ساحاتها السابقة كأفريقيا وأمريكا الجنوبية، فهي تراه حقاً مكتسباً للاتحاد السوفياتي وهي الوريث الشرعي له (السعيدي، ٢٠٢٤، ص ١١).

ومن جانب آخر ووجه آخر لهذه المشكلة، وتأثيرها على العرب عموماً ومنطقة الشرق الأوسط بوجه خاص، فربما تشكل القضية الفلسطينية أولى التحديات التي تفرزها الأزمة الروسية-الأوكرانية، ففي خضم الصراع قد تبرز الحاجة الملحة إلى تدخل أمريكي-أوروبي سريع لحلحلة الموقف سيما وأن الصراع قد وصل إلى مرحلة خطرة جداً، سيما بعد أحداث ٢٠٢٣/١٠/٧ (شاكر، ٢٠٢٢، ص ١-١١). فانشغال روسيا بوصفها شريكاً رئيسياً في هذه القضية، وانتقال العين الغربية برمتها نحو أوروبا وصراعها المستقبلي مع روسيا، وتطور مشاكل المنطقة إلى درجة تنذر بكارثة، كل هذا يستدعي تدخلاً دولياً لحل هذه الأزمة، ولكن في الواقع لا شيء يلوح في الأفق القريب، سيما مع موقف الغرب عامة من القضية الفلسطينية وحصرها بموضوع تصفية حركة حماس، وابتعادها عن دعم السلطة الفلسطينية الوليد الرسمي لاتفاق أوسلو، ونمو الجماعات الإسلامية المسلحة المدعومة بصورة كبيرة من إيران وتركيا عسكرياً وأمنياً، وهيمنتها شبه

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

المطلقة على العديد من المحاور في العراق وسوريا (إيران وتركيا في هذا البلد أي سوريا بصورة رئيسية إضافة إلى روسيا) ولبنان وفلسطين، سيؤدي حتماً إلى نشوب نزاع مسلح لا يمكن تفاديه، وهو ما سيؤدي إلى إعادة رسم خريطة منطقة الشرق الأوسط، سياسياً وجغرافياً وديموغرافياً وأمنياً، ليست هذه دعوى للتقسيم وإنما التقسيم هو أمر وارد وما هي إلا مسألة وقت حتى يتم هذا التقسيم. وربما في خضم كل هذا يتصاعد الرهان على نجاح إدارة الرئيس الأمريكي المنتخب دونالد ترامب، في حل العديد من المشكلات في العالم والشرق الأوسط، وإن كان ترامب بدا توسعياً هو الآخر سيما مع تفكيره المعلن عن نيته ضم كندا وجزيرة غرينلاند إلى أمريكا فضلاً عن قناة بنما، فهو لا يبحث عن حل للمشاكل فقط بل سيزيدها والحجة في توسعه هي الحرب الروسية–الأوكرانية، فبما أن روسيا توسعت غرباً وسيطرت على مقاطعات بحجم دول وبحجة أمنها القومي، فلما لا تفعل أمريكا الشيء نفسه وبنفس الحجة؟ ما الذي يمنعها من تحقيق ما يوفر لها أمناً مستداماً واقتصاداً مزدهراً؟ سيما وأن دولاً مثل كندا وجزيرة غرينلاند تقع في المنطقة الجغرافية نفسها، وهي دول لا تتمتع بالقوة العسكرية والاقتصادية التي تتمتع بها الولايات المتحدة الأمريكية.

عالم مجنون يسير نحو الهاوية ولا أحد يتوقع ما سوف يحدث بعد ساعة وليس بعد يوم، فالكل على أهبة الاستعداد للدخول في صراعات وحروب، وحتى أصوات الحكماء والعقلاء لم تعد تُسمع وإن سمعت فلا يلقى لها أي بال أو اهتمام، فهي غير مؤثرة وغير مجدية مع هذا الكم الهائل من الكراهية والاستعداء على الآخرين.

المطلب الثاني
المنتصر هو من يرسم الخرائط... الفائز له كل سلة البيض؟

في بحث مثير للاهتمام حول الحرب الروسية–الأوكرانية، يذهب باحثان مصريان إلى رؤية مغايرة للحرب، فهما يريانها وفق نظرية المباريات، وهي نظرية تقوم على أساس حساب الربح والخسارة في أقل مستوى من الخسائر، وتعتمد على نتائج المعارك كتلك النتائج المتحصلة من المباريات الرياضية، فروسيا لاعب رئيسي وأوكرانيا لاعب من ضمن فريق هو الغرب وأمريكا، فاللعبة هنا ليست عسكرية فقط بل اقتصادية، وأمنية، واجتماعية، وهي تحمل عمقاً استراتيجياً له عمق ثقافي وتاريخي بين روسيا وأوكرانيا، وعليه فاللعب هنا ضمن مباريات أطرافها يحسبون للربح ميزاناً أكبر من ميزان الخسارة، فالربح ،والربح ثم الربح، فلا يمكن التضحية بمنجزات بوتين في روسيا ومحيطها الإقليمي فضلاً عن البعد الدولي، والغرب ليس مستعداً للتضحية بمصدر الطاقة الأرخص والأوفر على حساب انتصار أوكرانيا فقط دون خسارة روسيا (عبد العال وعبد العال، ٢٠٢٥، ص ١–١٠).

لا يُتصور ضمن نظرية السياسة الواقعية، أن الحرب لم ولن تخلف فوضى، بل هي فوضى قبل نشوبها وبعد نشوبها، فروسيا تعرف وتدرك جيداً أن خسائرها والفوضى التي ستسببها لا تمحى آثارها بعقود،

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

والغرب أيضاً يدرك ذلك، لكن السؤال: هل الحصيلة من هذه الحرب والغلة التي سيحصل عليها كل طرف من الأطراف المتصارعة هي قيمة بحيث تكون التضحيات والفوضى أمامها أمراً هيناً؟ إذا نظرنا لقيمة الغنيمة الكبيرة وسلة البيض الكبيرة أيضاً، ولكن هل يقنع المتصارعون بالقسمة فيما بينهم؟ ربما أراهن على أن روسيا قد تقبل بجزء مرضي من الغنيمة، لكن الغرب بأطماعه التوسعية المشهورة لا يريد إلا سلة البيض كلها، ولن يعطي حتى الفتات للآخرين، معادلة صعبة سيما أن المتصارعين قوى نووية واقتصادية هائلة، فكيف ستكون القسمة؟

في الرأي السائد ضمن نظريات العلاقات الدولية، تكون القسمة بين القوى المتصارعة أن الرابح هو من يستأثر بالغنيمة كلها، ويخضع الخاسر لشروط المنتصر، ولكن على وفق نظرية المباريات فلا خاسر في الحرب، الكل منتصر بنسبة معينة، وهنا تفرض هذه المعادلة رؤية جديدة للتقاسم، فبحسب نسبة الانتصار (وما حققته الدول المتصارعة من أهداف) ستكون التغييرات في خريطة العالم، هناك دول ستخرج من الجغرافيا إلى التاريخ، وهناك دول ستدخل الجغرافيا كجزء من مساحات الدول المتصارعة جغرافياً، تحتاج روسيا إلى المياه الدافئة كاستراتيجية رئيسة لأمنها القومي، فلا يمكن التفكير ولو لجزء من الثانية بتخليها عن شبه جزيرة القرم (تيم، ٢٠٢٢، ص ٥-٢٥). تريد روسيا الجديدة اتفاقيات جديدة تحفظ أمنها القومي من التوسع المحتمل باتجاه حدودها والمتمثل بأزمة جورجيا سنة ٢٠٠٨ والأزمة الأوكرانية القائمة، ضرورة نسج وبناء اتفاقيات جديدة تقوم على أساس القضم الروسي للأراضي والتي لا يمكن أن تتنازل عنها تحت أي ظرف، فتغيير العقيدة النووية، والعسكرية الروسية بناءً على الفلسفة السياسية الجديدة لروسيا في ضوء المتغيرات العالمية، وهو أمر حتمي تفرضه الاعتبارات سالفة الذكر (الظاهر، ٢٠٠٧، ص ٧٧).

وليس ببعيد عن هذه الفكرة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، فالسعي لضم أراضٍ جديدة والهيمنة على رقعة أكبر من العالم، لا يزال حلماً تسعى الولايات المتحدة لتحقيقه، سواء بالقوة العسكرية ،أم الاقتصادية، أم كلتيهما معاً، وليس الصين ببعيد أيضاً عن تايوان، والتي هي في الأساس جزء من الصين، وأيضاً سعيها الحثيث للهيمنة على المحيط الهندي وصولاً إلى المحيط الهادئ إذ الاستثمارات الواعدة في الدول التي تميل للشيوعية، أو تلك التي تتبنى الأطروحة الاشتراكية كنموذج للاقتصاد، والسياسة، نمذجة لهذا الصراع والذي لم يمر به العالم في أحلك ساعاته التي مرت عليه، ولا تلك السنوات السيئة والمظلمة التي مر بها العالم في القرن العشرين، والذي يعد القرن الأكثر دموية في المسيرة البشرية المسجلة.

ومما سبق وضمن سياقات الجغرافية السياسية، ينبغي أن نشير أخيراً إلى أن الفلسفة السياسية للجيوبوليتك الروسية الحديثة تستمد رؤيتها وعمقها من نظريات وضعها عراب الفلسفة السياسية الروسي، ألكسندر دوغين، والذي رسم للقيادة الروسية جغرافية السياسة، وأين ومتى نتوسع وأين ومتى نتوقف، هذه السياسة الجغرافية-السياسية (المصطلحان من وضع الباحث للتوضيح) مكنت روسيا تحت قيادة بوتين من

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

نسج مخيال سياسي–جغرافي توسعي جديد، مبني على رؤية إمبراطورية قديمة، تتيح لروسيا التمدد والتوسع تحت ظل أطروحة الأمن القومي الروسي الذي رافق هذا البلد العملاق منذ قرون طويلة ولا يزال، ولكن يبقى السؤال عن حدود وإمكانية تنفيذ هذه الرؤية، وما قيمة الأوراق التفاوضية التي تملكها روسيا ضد أعدائها التقليديين أي أوروبا والغرب عموماً (خشيب، ٢٠٢٤، ص ٧٧).

والذي عزز المفاهيم الفلسفية سالفة الذكر هي النظرية الرابعة التي قدمها دوغين والمتمثلة بالأوراسية، والتي يفصل فيها البعد بين الحضارة الأرضية والحضارة البحرية وأن الأولى هي أكثر استقراراً وروحانية من الثانية التي تتسم بالتغير والتقلب كالبحر، فنظريته هذه والتي التفت إليها العسكريون الروس هي التي فتحت الأفق للمتغيرات التي نشهدها الآن (دوغين، ٢٠٢١، ص ٣٣–٧٧).

وربما جاءت هذه النظرية كرد على نهاية التاريخ وفوز الديمقراطية بحسب فرانسيس فوكوياما، وأيضاً النظرة الاستعلائية التي بنيت على المركزية الأوروبية، وسيادة العرق الأوروبي على سائر أعراق العالم، وربما العديد من الضغوطات التي ولدتها النيوليبرالية، وزيادة تمركز الرأسمالية وظهور القطب الواحد بعدما كانت هناك قطبية توازن بين أطراف العالم، هذا كله مدعوماً بفكرة نهوض العرق السلافي الذي يمتد منه الروس كأسلاف أوائل محتملين، وأيضاً العلاقات التاريخية بين حضارات الشرق الروحانية، وضدها النوعي الحضارة الغربية وأسلافها اليونان، والتي هي حضارة في أغلبها مادية إذا ما استثنينا أفلاطون منها، هذه الأضداد وربما غيرها كانت هي البذرة الأولى لولادة النظرية الرابعة، والتي شكلت وستشكل وجه روسيا والعالم مستقبلاً.

المطلب الثالث
رؤية استراتيجية بمثابة خلاصة ونتائج للبحث

ما العمل؟ استخدم الباحث هذا الاقتباس (ما العمل) وهو لفلاديمير لينين (لينين، ١٩٣٤) لهذه النقطة، وهي لنحدد الأفكار التي علينا العمل عليها ضمن منطقة الشرق الأوسط، لا يوجد لدينا سوى خيارين لا ثالث لهما.

ففكرة المقاومة لهذه المتغيرات ليست مؤاتية لمنطقتنا ولا للنظم الحاكمة فيها، فهذه النظم بين منبطح للغرب وبين منصهر بهم وبين معتد بنفسه ويحسب أنه العالم كله. وعليه كخيار استراتيجي للعمل مع هذه المتغيرات السريعة والمفاجئة، فليس أمام منطقتنا سوى هذين الخيارين:

الخيار الأول: هو التعاطي مع هذه المتغيرات من خلال قلب الموازنة لصالحنا، بمعنى أدق توظيف هذا التغيير لمصلحتنا كمنطقة، فنحن نملك الكثير من أوراق الضغط التي تسمح لنا بالعمل على عكس هذا الواقع والاستفادة منه استفادة قصوى، ونلاحظ مثل هذا السلوك لدى الكيان الإسرائيلي وحليفته الكبرى الولايات المتحدة، وكيف وظفت مخرجات وتداعيات أحداث ٢٠٢٣/١٠/٧ لمصلحتهما إذ من ضمن الكيان أمنه

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

لعقود قادمة وحقق امتيازات اقتصادية وسياسية بعيدة المدى كما حققت الولايات المتحدة ما لم تحلم به على الصعيد السياسي والاقتصادي والذي يعزز هيمنتها أكثر، في حين انكفأت أوروبا بعيداً عن هذه المنطقة، لدرء الخطر الروسي القادم من الشرق، ودعم بلد لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يخرج عن عباءة روسيا التاريخية مهما حاول، فهذا العبث لا يفضي إلى حلول واقعية، ولم ولن تنضم أوكرانيا للناتو، كما لم ولن تنضم تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. ولا بأس بالاستفادة من العدو ومن تكتيكاته المفضية إلى سياسة استراتيجية طويلة الأمد، فالتبادل التجاري والممرات المائية وسوق الطاقة والسلاح والعلاقات القديمة بين الحضارات الأرضية، كل هذا ومزيد يعزز الوضع الجيوسياسي لدول المنطقة من ضمن فضاء التحالفات، والتي لابد أن تتسم بطابع مغاير للمتعارف عليه دولياً، فحجم التغيير كبير ونظريات العلاقات الدولية السائدة لا يمكن أن تغطي هذا التغيير، لذا نحتاج إلى دراسة خياراتنا وفق الواقع الذي تفرضه هذه المتغيرات، بحيث نكون جزءً فعالاً وحيوياً في هذا الواقع، وليس ردة فعل لما يحدث، أي نغادر دور المرآة العاكسة للواقع لنسهم في صناعته، وإلا فليس أمامنا إلا الخيار الثاني.

الخيار الثاني: أن نكون بيادق بيد الدول الكبرى كما هو شأننا في معظم الأوقات والظروف، فننصهر ونندك في بوتقة المتغيرات الجيوسياسية، ولا نقوم بدورنا في صناعة الواقع وعكس تحدياته وتوظيفها لمصلحتنا، وهذا أمر متوقع الحصول، ولأسباب عديدة نذكر منها أو أهمها:

١. التغيير الدراماتيكي في سوريا وسيطرة منظمة تُصنف على أنها إرهابية على مقاليد السلطة في البلاد، وبإشراف تركي مباشر وبدون ضوء أخضر أمريكي، بسبب التحولات السياسية في الولايات المتحدة، مع انحسار كبير لدور إيران بسبب الضربات التي وجهت لحلفائها في المنطقة، كحزب الله وجماعة أنصار الله وفصائل العراق المسلحة، وفوقها كلها بالتأكيد هو تغيير النظام السوري الذي يعد حلقة الوصل الرئيسة للنفوذ الإيراني في المنطقة.

٢. تراجع مؤقت لدور روسيا بسبب الحرب.

٣. التقدم السياسي والأمني الذي حققه الكيان الإسرائيلي من خلال توظيف وعكس أحداث أكتوبر ٢٠٢٣.

٤. تراجع ملفت للنظر وغير مبرر لمصر والسعودية بوصفهما أهم دولتين في المنطقة ضمن واقعها الحالي.

٥. انشغال العراق بتثبيت نظامه السياسي الهش، ومحاولاته المستميتة في تفادي الحرب لما تسببه من ويلات، ولما تشكله هذه الحرب من خطر زوال النظام السياسي القائم.

٦. تقدم النفوذ التركي في المنطقة كبديل عن السعودية وإيران ومصر، ضمن فضاء التقدم السياسي والعسكري والاقتصادي الذي حققته من الحرب الروسية–الأوكرانية.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

الخاتمة

مما تقدم نستنتج الآتي:

اولًا: النتائج

١. التغيير الجيوسياسي يرتبط مباشرة بالفلسفة السياسية ومتغيراتها في أي عمل وفي أي مكان في العالم.

٢. بداية زوال القطبية العالمية وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم.

٣. استرجاع الأراضي التاريخية لروسيا من ضمن مناطق الجغرافيا الأوكرانية كشبه جزيرة القرم.

٤. فتح المجال للدول التي لديها رؤية توسعية مثل الصين حول تايوان وأمريكا حول كندا وغرينلاند، للمطالبة بها.

٥. هذا المتغير سيثبت مطالب الكيان الصهيوني المدعوم أمريكياً بالجولان، والضفة الغربية لنهر الأردن وغزة كجزء استراتيجي للأمن القومي الصهيوني.

٦. سيفتح المجال للمطالبة المستقبلية للعراق على وفق رؤية التغيير القادمة للمطالبة بإعادة ما أعطي لدول الجوار من مساحات جغرافية ضمن فضاء الفكر الاستبدادي للبعث الصدامي القائم على بقاء السلطة بدفع أي ثمن.

٧. سيعزز هذا التغير الجيوسياسي من ثبات إيران على جغرافية الجزر الثلاث في الخليج العربي (طنب الصغرى، طنب الكبرى، أبو موسى) من ضمن فضاء الأمن القومي الإيراني.

٨. سيقوي هذا التغيير من مطالبة إنشاء الدولة الكردية من ضمن أقاليم الدول الأربع التي تضم الشعب الكردي.

٩. ربما سيؤدي هذا التغيير إلى تشكيل جديد لخريطة العالم بانتقال دول ومناطق من الجغرافيا إلى التاريخ، كما حدث بعد الحربين العالميتين وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي أيضاً.

ثانيًا: المقترحات

١. إيجاد صيغة للتعاون بين دول المنطقة مع الإدارة الأمريكية لتجنب قدر الإمكان تداعيات هذه الحروب، سيما وأن الإدارة الجديدة (ترامب) تبحث عن صفقات مالية واقتصادية، وهو أمر قسري لابد من اتخاذه كتكتيك آني لمواجهة هذا الإعصار المدمر.

٢. بالنظر إلى النقطة الأولى، لا ينبغي إهمال الدور الروسي، والصيني في المنطقة، فإجراء اتفاقات وبروتوكولات تعاون اقتصادي مهم أيضاً، وذلك من باب المسك بطرفي المعادلة الشرق أوسطية الجديدة، كنوع من التوازن بين الأقطاب المتصارعة.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

٣. تعزيز التوافق العربي حول متغيرات سوريا – فلسطين – لبنان – العراق، أيضاً كجزء فاعل ضمن الرؤية الشرق أوسطية الجديدة، ولو على مستوى التحالفات القائمة على أساس المصالح المشتركة بين النظم السياسية المتقاطعة.

٤. الأخذ بجدية كبيرة للمتغيرات الجيوسياسية للمنطقة، وتحويلها لفاعلية سياسية واقتصادية، كنوع من الحماية الذاتية للمنطقة ومواطنيها وشعوبها، سيما إذا غيرنا التقاطعات إلى تحالفات.

الملاحق

ملحق رقم (١): الامتداد الجغرافي الاستراتيجي لروسيا على مدى قرون، فروسيا القيصرية كانت تضم أراضٍ في آسيا وأوروبا وأيضاً ألاسكا.

ملحق رقم (٢): الاتحاد السوفياتي بضم مجموعة من الجمهوريات الأوروبية إلى هذا الاتحاد عام ١٩٢٢م.

ملحق رقم (٣): خريطة حلف وارسو بعد الحرب العالمية الثانية.

ملحق رقم (٤): خريطة روسيا الاتحادية قبل ضم شبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤م.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

ملحق رقم (١)

ملحق رقم (٢)

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

ملحق رقم (٣)

ملحق رقم (٤)

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية

١. الادهمي، محمد مظفر. (٢٠٠٩). العراق: تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني (المجلد ١). بغداد: مكتبة الذاكرة.

٢. دوغين، ألكسندر. (٢٠٢١). الخلاص من الغرب: الأوراسية – الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية (تحرير علي بدر). بغداد: مكتبة دار الكا.

٣. دونر، وندي، وفمرتون، رتشارد. (٢٠١١). جون ستيوارت ميل (ترجمة نجيب الحصادي). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

٤. زريق، مهدي. (٢٠٢٢). الحرب الروسية–الأوكرانية: دراسة فيما وراء الكواليس. دمشق.

٥. السعيدي، كرار حيدر سالم. (٢٠٢٤). روسيا الاتحادية واستعادة مكانتها الريادية في النظام الدولي (الطبعة الأولى). بغداد: دار الورشة للطباعة والنشر.

٦. شاكر، حسام. (٢٠٢٢). تأثيرات الأزمة الأوكرانية على القضية الفلسطينية وخيارات التصرف المتاحة. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

٧. الظاهر، نعيم. (٢٠٠٧). الجغرافيا السياسية المعاصرة في ظل نظام دولي جديد. عمان: اليازوري للطباعة والنشر.

٨. تيم، مارشال. (٢٠٢٢). سجناء الجغرافيا. الرياض: دار صفحة سبعة للنشر والتوزيع.

٩. جيريه، فرانسوا. (٢٠١٤). الجيوسياسية الجديدة (ترجمة هلا أمان الدين). الرياض: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية.

١٠. كالهون، نويل. (٢٠١٤). معضلات العدالة الانتقالية في التحول الديمقراطي من دولة شمولية إلى دولة ديمقراطية. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

١١. الكيالي، عبد الوهاب. (١٩٩٠). الموسوعة السياسية (المجلد ٢). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٢. لينين، فلاديمير أيلتش. (١٩٣٤). ما العمل (ترجمة عوني بشارة). القاهرة: دار النسيم.

١٣. لوك، جون. (١٩٥٩). في الحكم المدني (ترجمة ماجد فخري). بيروت: اللجنة الدولية لترجمة الروائع.

١٤. ماركس، كارل. (١٩٤٧). رأس المال (ترجمة راشد البراوي). القاهرة: مكتبة النهضة العربية.

١٥. ناي، جوزيف س. (٢٠٠٧). القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية (المجلد ١) (ترجمة محمد توفيق البجيرمي وعبد العزيز عبد الرحمن الثنيان). الرياض: مكتبة العبيكان.

١٦. هوبا، هانز هيرمان. (٢٠١٩). الديمقراطية: الإله الذي فشل (المجلد ١) (ترجمة إيمان معروف). الكويت: منشورات تكوين.

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0230072

١٧. روسو، جان جاك. (١٩٩٥). العقد الاجتماعي (المجلد ٢) (ترجمة عادل زعيتر). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

ثانياً: الدوريات العلمية

١. جاسم، أحمد محمد، وعلاوي، ستار محمد. (٢٠١٣). التطورات الداخلية في الاتحاد السوفياتي ١٩٢٣-١٩٣٩. مجلة جامعة ديالى، (٣٦).
٢. كاظم، قحطان حميد، وجاسم عبد، أحمد محمد. (٢٠١٤). التطورات الداخلية في الاتحاد السوفياتي ١٩١٨-١٩٣٩. مجلة كلية التربية، ١٧.
٣. عبد العال، رنا محمد، وعبد العال، ريمان أحمد. (٢٠٢٥). الصراع الروسي الأوكراني في ضوء نظرية المباريات: دراسة تحليلية. مجلة السياسة والاقتصاد، جامعة قناة السويس.
٤. الفقي، مصطفى. (١٥ كانون الثاني، ٢٠٢٤). العرب والحرب الروسية-الأوكرانية. دراسات استراتيجية، السنة الثانية، العدد الثالث، القسم الأول.

ثالثاً: التقارير والدراسات

١. أزناك، علي، واللواتي، إيمان. (٢٠٢٢). الحرب الروسية الأوكرانية وأثرها على الغذاء في بلدان شمال أفريقيا. الرباط: شبكة شمال أفريقيا للسيادة الغذائية / منظمة روزا لكسمبورغ.
٢. تشاوسوفسكي، يوجين. (٢٠٢٤). الحرب الهجينة الممتدة في أوكرانيا تمثل نموذجاً لمستقبل الصراع في الشرق الأوسط. بغداد: مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.
٣. خشيب، جلال. (٢٠٢٤). الجيوبوليتك الروسية الحديثة والمعاصرة: طموح النظرية وحدود التطبيق. كندا: مركز إدراك للدراسات والاستشارات.
٤. مركز المعلومات ودعم القرار – مجلس الوزراء المصري. (٢٠٢٢). مستقبل امتداد أجل الأزمة الروسية-الأوكرانية: باستخدام منهجية عجلة المستقبل. القاهرة: مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار.
٥. مزيان، أمينة، وديداوي، جميلة. (٢٠١٧). حركة عدم الانحياز من خلال مؤتمر بلغراد ١٩٦١ والقاهرة ١٩٦٤ [رسالة ماجستير غير منشورة]. الجزائر: جامعة الجيلالي بونعامة.
٦. مون، ويليام إم. (٢٠٢٤). كيف يمكن أن تصبح الحرب في أوكرانيا نووية عن طريق الصدفة (ترجمة صفا مهدي). بغداد: مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

رابعاً: المصادر الإلكترونية

- ويكيبيديا. (٢٠٢٦). الحرب الروسية الأوكرانية. تم الاسترجاع في ٢٧ فبراير ٢٠٢٦، من https://ar.wikipedia.org

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0